



العاملون في العمل الإنساني
في الشرق الأوسط

ضحايا إنسانيتهم

اليوم العالمي للعمل الإنساني

#NotATarget

19 أغسطس 2018

#لست_هدفا

المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان

أغسطس 2018

مقدمة

في الوقت الذي يحتفي فيه العالم اليوم بالعاملين في الحقل الإنساني ضمن ما يعرف بـ «اليوم العالمي للعمل الإنساني»، الذي أعلنته الأمم المتحدة في 19 من أغسطس/آب من كل عام، يدفع المسعفون والممرضون والأطباء وعناصر الدفاع المدني في الشرق الأوسط من أرواحهم نتيجة استهدافهم المباشر أثناء تأديتهم لواجبهم الإنساني، كما يفقدون حريتهم بسبب الاعتقال والإخفاء القسري.

ولا تزال العديد من حكومات الشرق الأوسط، فضلاً عن المجموعات المسلحة، لا سيما في مناطق النزاعات، تعامل العاملين في العمل الإنساني باعتبارهم عدوًا، ولا يزال استهداف العاملين في الحقل الإنساني من أطباء وممرضين ومسعفين وعناصر دفاع مدني في مناطق الحروب والنزاعات في الشرق الأوسط، خصوصاً في سوريا واليمن وفلسطين وليبيا، يسجل أعلى الأرقام.

ولا يتوقف الأمر عند استهداف هؤلاء العاملين بالاعتقال أو الاستهداف العرضي، بل سجلت العديد من الحالات التي جرى فيها استهدافهم بشكل مباشر، ما أسفر عن مقتل العديد منهم أو إصابتهم بإصابات خطيرة، وهو ما يمثل انتهاكاً جسيماً للقانون الدولي الإنساني، الذي حمى العاملين في حقوق العمل الإنساني في مناطق النزاعات، ونص على وجوب تسهيل عملهم، لا استهدافهم.

وبمناسبة اليوم العالمي للعمل الإنساني، وضمن عمله برصد وتوثيق الانتهاكات الحقوقية في تلك البلدان، يسلط المرصد الأورومتوسطي الضوء اليوم على بعض الانتهاكات التي وقعت بحق العمل الإنساني في البلدان الأربعة، وهو يهدف عبر ذلك فقط إلى إعطاء نموذج للتذكير بضحايا العمل الإنساني وما يقدمونه، وواجب الدول والمجموعات المسلحة في حمايتهم وتسهيل عملهم، بدلاً من استهدافهم.

في ظل ما تشهده سوريا منذ ما يزيد عن سبع سنوات من حرب غير مسبوقة استخدمت فيها العديد من الأسلحة العشوائية كالبراميل المتفجرة التي تسبب أضراراً بشرية ومادية هائلة، والأعمال العسكرية والاشتباكات التي تجري بشكل عنيف بين عدة أطراف وفي مناطق مدنية، سُجلت العديد من الانتهاكات الخطيرة والجسيمة للقوانين الدولية ومنها الاستهداف المقصود لعشرات المشافي والنقاط الطبية ومراكز الدفاع المدني وطواقمها العاملة في سوريا.

وأكدت مصادر حقوقية للمرصد الأورومتوسطي مقتل (86) من الكوادر الطبية وكوادر الدفاع المدني ومنظمة الهلال الأحمر في سوريا في النصف الأول من عام 2018، حيث قامت قوات الجيش السوري النظامي بالجزء الأكبر من تلك الانتهاكات، حيث قامت تلك القوات مدعومة بقوات إيرانية بقتل (31) كادراً طبياً و(19) عنصراً من عناصر الدفاع المدني، على الأقل، في حين شاركت القوات الروسية وقوات التحالف الدولي والتنظيمات الإسلامية المتشددة ومجموعات الحماية الكردية PYD في الجزء الآخر من الانتهاكات.

كما سُجلت -في الوقت ذاته- (165) حالة اعتداء على مراكز طبية وسيارات إسعاف ومراكز دفاع مدني ومراكز تابعة للهلال الأحمر السوري، منها (91) اعتداء قام به عناصر الجيش النظامي السوري، و(51) اعتداء قامت به القوات الروسية، و(2) من قبل قوات التحالف الدولية، و(19) حالة من جهات أخرى.

ويلاحظ المرصد أن غياب المسائلة القانونية عن تلك الجرائم أدى إلى تماذي الأطراف المؤثرة في الحرب السورية في استهداف المنشآت الطبية ومراكز الدفاع المدني. وكان منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في سوريا، بانوس مومتزيس، قال في شهر مايو الماضي «إن سوريا هي أسوأ مكان في التاريخ الحديث، وخاصة بما يتعلق بالهجمات على الكوادر الطبية وموظفي منشآت الرعاية الصحية، إذ تمثل نحو (70%) من إجمالي تلك الهجمات في العالم».

فلسطين

وثق المرصد الأورومتوسطي العديد من الانتهاكات الجسيمة للعمل الإنساني قام بها جنود الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين هذا العام، ولا سيما استهداف الطواقم الطبية الفلسطينية أثناء تأديتهم لعملهم في مسيرات العودة في قطاع غزة، والتي بدأت فعاليتها في المناطق الحدودية لقطاع غزة، في (30) آذار الماضي، ضمن ما يعرف بذكرى يوم الأرض، وذلك للتأكيد على حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم التي هجروا منها وفق القرار الأممي (194).

وخلال المسيرات قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي المتمركزة على طول الحدود مع قطاع غزة باستهداف الطواقم الطبية بصورة بدأ أنها متعمدة، مما أدى إلى مقتل 3 مسعفين وإصابة (370) آخرين، وتضرر (70) سيارة إسعاف بأضرار مختلفة، رغم حملهم الشارات المميزة لهم والتي تؤكد على طبيعة عملهم، وذلك حسب توثيق وزارة الصحة الفلسطينية.

وبدا واضحاً أن ما قامت به إسرائيل من استهداف الطواقم الطبية اعتمد على استخدام قدر كبير وغير متناسب من القوة، وقد دانت عدة جهات دولية، ومنها بيان صدر عن عدد من المقررين الخواص للأمم المتحدة، وعن المفوض السامي لحقوق الإنسان، وكذلك عن الاتحاد الأوروبي، الاستخدام المفرط للقوة من جانب قوات الاحتلال الإسرائيلي في التعامل مع تظاهرات العودة، ولا سيما ما يتعلق باستهداف المسعفين، وبرزت قضية المسعفة «رزان النجار»، والتي قُتلت يوم 1 يونيو 2018 برصاصة متفجرة من قناص إسرائيلي أثناء تواجدها على بعد حوالي 100 متر من الشريط الحدودي شرقي خزاعة بمحافظة خان يونس، وذلك إثر محاولتها تقديم خدمات الإسعاف الأولي، فيما كانت ترتدي ملابس هيئة الإغاثة الطبية الفلسطينية التي كانت تعمل بها.

أدى استمرار المعارك بين مليشيا الحوثيين/صالح وقوات التحالف العربي (الذي تقوده السعودية) إلى تردي الأوضاع الإنسانية في اليمن، الذي قالت الأمم المتحدة عنه إنه «يشهد أسوأ أزمة إنسانية في العالم».

وبالتزامن مع الأزمة الإنسانية في اليمن، تم توثيق العديد من الانتهاكات الخطيرة بحق العاملين في الحقل الإنساني، سواء من طرف مليشيا الحوثي/صالح أم من طرف قوات التحالف.

ففي 29 يونيو/حزيران الماضي أقدمت ميليشيات «الحوثي» على اقتحام مخازن برنامج الغذاء العالمي ((WFP في محافظة الحديدة، واختطفت اثنين من الموظفين، واقتادتهم إلى جهة مجهولة.

وأعلنت اللجنة الدولية للصليب الأحمر مقتل أحد موظفيها، ويدعى حنا لحود، إثر هجوم استهدف إحدى سيارات اللجنة في مدينة تعز في اليمن في إبريل/نيسان هذا العام.

وقام الصليب الأحمر بسحب 71 من موظفيه في اليمن. وقال مدير العمليات في اللجنة الدولية دومينيك ستيلهارت «في الأسابيع الأخيرة توقفت أنشطتنا، وتعرض موظفونا للتهديد والاستهداف المباشر». وبدأ أن سحب الصليب الأحمر لموظفيه جاء إثر هجوم وشيك كانت ستقوم به قوات التحالف، المدعومة بشكل أساسي من قبل الإمارات والسعودية، على مدينة الحديدة في اليمن، والتي تعتبر بوابة دخول ما يقارب 80% من المساعدات الأجنبية لليمن، حيث قالت اللجنة في بيان تعليقا على

سحب موظفيها: «نشهد هذه الأيام اتجاهات خطيرة. فقد حيل بيننا وبين أداء أنشطتنا الحالية».

وفي أغسطس الجاري، استهدف مستشفى الثورة في مدينة الحديدة، ما أسفر عن سقوط 14 قتيلاً وأكثر من 30 جريحاً، أغلبهم من المدنيين، والعديد منهم من المسعفين والممرضين، فيما اتهمت الحكومة الرسمية اليمنية حينها ميليشيا الحوثي/صالح بالأمر.

وطال قصف التحالف العسكري الذي تقوده السعودية مركزاً صحياً لمعالجة الكوليرا يتبع لمنظمة «أطباء بلا حدود» في منطقة حجة شمال غرب صنعاء، ما دفع المنظمة إلى تجميد عملها في المدينة، حيث كانت المنظمة قد وضعت إشارات على سطح المركز للتعريف به كمركز طبي. وفي تغريدة على صفحتها على تويتر، قالت أطباء بلا حدود إن «الهجوم من قبل التحالف السعودي والإماراتي يظهر عدم احترام مطلق للمرافق الطبية والمرضى».

ويدعو المرصد الأورومتوسطي إلى عدم الاستهداف للمرافق الطبية أياً ما كانت الأسباب، والعمل على توفير الدعم الكافي للبرامج الإنسانية في اليمن، والعمل على السماح بوصول المساعدات الإنسانية إلى المتضررين، خصوصاً الصحية منها، وذلك بسبب انتشار الأمراض المعدية بشكل كبير كوباء الكوليرا الذي انتشر بشكل موسع في عدد من المدن اليمنية نتيجة نقص الخدمات الإنسانية والطبية المقدمة للشعب اليمني.

ينعكس الوضع الأمني المضطرب في ليبيا على سلباً على العمل الإنساني، حيث أفاد أحمد عبد الحكيم حمزة، مقرر اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان في ليبيا، إن عمليات القتل والاعتداء والخطف باتت شائعة وظاهرة بشكل كبير في عموم البلاد ولم تعد تقتصر على عموم الليبيين بل أصبحت تطال حتى موظفي المساعدات الإنسانية.

ووفقاً لإحصائيات اللجنة، تم توثيق ورصد (34) حالة اعتداء واعتقال تعسفي غير قانوني طالت عدداً من موظفي الجمعيات الاغاثية خلال الأعوام السبعة الماضية، فضلاً عن تسجيل تهديدات مستمرة ضد الصحفيين والناشطين المدافعين عن حقوق الإنسان، في مناطق طرابلس وبنغازي وسبها.

وفي ذات السياق، تعرض كل من «محمد المنصف الشعلالي»، و«وليد رمضان سلهوب»، وهما يعملان في مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية الليبية، وهي شريك منفذ لعدد من الوكالات الإنسانية الدولية، للاختطاف، في منطقة الشويرف بالجنوب الليبي.

وفي إحصائية غير رسمية لمفوضية المجتمع المدني في ليبيا، قالت إن ما يزيد على (15) موظفا تابعين لهيئات إغاثية وطنية قتلوا، مع تعرض (9) سيدات للاعتقال والتعذيب بسبب مساعدتهن لضحايا النزاعات على أيدي مجموعات مسلحة.

في حين أشار الهلال الأحمر الليبي، في تواصل مع الأورومتوسطي، إلى أن 3 من موظفيه قُتلوا منذ بداية 2017 حتى يوليو 2018، إضافة إلى وقوع 5 جرحى من العاملين معه، مع تعرض شخص واحد للخطف على أيدي جماعات مسلحة.

كما أفادت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بمقتل أحد موظفيها العام الماضي في مدين سرت الليبية إثر تعرضه لإطلاق النار ضمن قافلة مساعدات، فيما تعرض آخر للختف، ما تسبب في تأخر وصول بعض المساعدات لمحتاجيها. وأفادت البعثة الإنسانية التابعة للأمم المتحدة في ليبيا بمقتل أحد موظفي الاغاثة لديها في العام 2017م ومقتل اثنين آخرين في عام 2018، وتعرض آخر للختف لفترة شهرين.

نتائج وتوصيات

أمام ما سبق، يؤكد المرصد الأورومتوسطي على أن طبيعة العمل الإنساني للمسعفين والمرضى والأطباء والإغاثيين وعناصر الدفاع المدني تجعلهم من الفئات المحمية بموجب القانون الدولي، ويعتبر ما تقوم به الأطراف المتصارعة في سوريا، سواء من الجيش النظامي والقوات الداعمة له، أو المجموعات المسلحة في سوريا، وما قامت به «إسرائيل» من استهداف الطواقم الطبية، وما تقوم به مليشيا الحوثي/صالح وقوات التحالف العربي بقيادة السعودية في اليمن، وكذلك ما قامت به الميليشيات المسلحة في ليبيا، من استهداف للعاملين بالحقل الإنساني، يمثل انتهاكاً جسيماً لقواعد لقانون الدولي الإنساني، ولا سيما اتفاقية جنيف الرابعة 1949م، ويمكن أن يمثل جريمة حرب.

- إن على أطراف النزاع في فلسطين وسوريا واليمن وليبيا، وكل دول الشرق الأوسط، العمل على تحييد العاملين في الحقل الإنساني عن عملياتهم العسكرية، وحث جميع الأطراف على الالتزام بالقانون الدولي.

- ويطالب المرصد الأورومتوسطي جميع الجهات، سواء من الحكومات أو المجموعات المسلحة أو الأحزاب السياسية باحترام العمل الإنساني وضمان سلامة العاملين فيه، من مسعفين وأطباء وعناصر دفاع مدني، وإخراج العمل الإنساني من دائرة المناكفات والانقسامات السياسية والطائفية، ويؤكد في هذا الصدد على حق جميع الفئات الحصول على المساعدات الإنسانية دون تمييز.

- ويدعو المرصد مجلس حقوق الإنسان والمقررين الخواص لمتابعة الانتهاكات التي تطال العاملين في العمل الإنساني وتشكيل لجنة تحقيق حيثما دعت الحاجة لتحديد المسؤولين عن هذه الانتهاكات، والسعي لتقديمهم للمحاكمة عبر تشكيل محكمة مختصة بذلك من خلال مجلس الأمن، أو عبر المحكمة الجنائية الدولية.

- ويود المرصد الأورومتوسطي أن يكبر التضحيات الكبيرة التي يقدمها العاملون في المجال الإنساني، معرضين أرواحهم للخطر من أجل مساعدة غيرهم من الأطفال والنساء والجرحى والمرضى، وتقديم الخدمات الطبية والمساعدات الأساسية اللازمة للحفاظ على حياتهم في مناطق النزاعات والحروب.



